ودوى التصفيق فانحنت الطفلة الراقصة وكم كانت رشيقة فى حركاتها الشاكرة الراضية ، كم كانت الغبطة تشع من عينيها بريقا لامعا . وانتحت الطفلة ناحية ثم عزفت الموسيقى دور رقص روسى ، فقامت طفلة أخرى فى لباس رقص روسى واخذت ترقص رقصة صعبة بديعة . وكال لها المتفرجون التصفيق كيلا ، فادرت رأسى ابحث عن الطفلة الاولى . كانت فى ركن بعيد تنظر الى الراقصة الجديدة نظرة المتعجب المعجب الفرح ، وتتبع حركاتها حركة حركة فتصفق لها كلما قامت بحركة صعبة فاتقنتها ، كانت أشد المعجبين بالراقصة الجديدة حماسا واكثر المتفرجين تصفيقا لها . يالله الطفولة البريئة الطاهرة لم تخط الغيرة بعد سطرا من سطورها ولم يخط الحسد كلمة من كلماته . يالله الطفولة المرحة الطروب ما اجملك وما أطهرك !

وصدحت الموسيقى ثالثة فقامت الطفلة راقصة لاهية طروبا ، ودوى لها التصفيق وانتشت بنشوة الاعجاب بها من جديد ، تفننت فى رقصها وابدعت . فلمت نفسى على اوهامى وخيالى . حصن الطفولة مازال حصينا لم ينفذ فيه سهم من سهام الدهر بعد . ليتك تظلين طفلتى هكذا . ليت الحياة تدعك كما انت عصفورة من عصافير جنتها تغنين وترقصين وتلهين . ليتك لاتعرفين للحياة معنى غير ماتعرفين الآن . ابقى طفلتى كما انت راقصة . فرحة مرحة الى ماشاء الله . الحياة الحياة ماهى ؟؟ : رقصة . فارقصيها لاهية .

(سمير القلماوى)

قراءة الأفكار وعلوم نفسية

تحقيق الرغبات ، السحر ، العلاج النفسى ، المنزل الأثري بالقاهرة ، الاولياء الائمة الخ والبريد

ملكات العقل الباطن

الخوف ، التنويم المغناطيسى ، الايحاء ، التحليل ، التركيز الابتكار ، الهلوسة ، اليقظة السريعة الخ والبريد

يطلب الكتابان من مؤلفهما الأستاذ وليم سركيس المحامى بشارع المرحة البولاقية رقم ١٥٦ بالسيدة بمصر

الشافعى واضع علم أصول الفقه

للأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق

أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب

— ٦ —

١ — الدراسات الفقهية الى عهد الشافعى . ب — أهل الرأى وأهل الحديث
ج — الشافعى بين أهل الرأى وأهل الحديث وآثاره وكتبه
د — وضع الشافعى علم أصول الفقه

وكان أهل الحديث يعيبون أهل الرأى بأنهم يأخذون فى دينهم بالظن ، وأنهم ليسوا للسنة أنصارا ولا لهم فيها متبعين ، فان أصحاب أبى حنيفة يقدمون القياس الجلى على خبر الواحد وهم يقبلون المراسيل ، والمجاهيل — أى الحديث المرسل الذى أسنده التابعى أو تابع التابعى الى النبى صلى الله عليه وسلم من غير أن يذكر الصحابى الذى روى الحديث . أما المجاهيل فهم مجهولو الحال من الرواة —

ثم لا يقبلون الحديث الصحيح اذا كان مخالفا للقياس ، ولا يقبلونه فى الواقعة التى تعم فيها البلوى . الرازى ص ٢٥٠ ، ٢٥١

كانت الحال على ما ذكرنا حين جاء الشافعى ، وقد تفقه الشافعى أول ما تفقه على أهل الحديث من علماء مكة ، كمسلم بن خالد الزنجى ، وسفيان بن عيينه ، ثم ذهب الى امام أهل الحديث ، مالك ، ابن أنس فى المدينة فلزمه ، ولقى من عطفه ومن فضله ما جعله يحبه ويجله « عن يونس بن عبد الاعلى أنه سمع الشافعى يقول : « اذا ذكر العلماء فمالك النجم ، وما أحد أمن على من مالك بن أنس » الانتقاء ص ٢٣

على أن نشأة الشافعى لم تكن من كل وجه نشأة أهل الحديث ، ولا استعداده استعدادهم

لقد توجه فى أول أمره الى درس اللغة والشعر والأدب واخبار الناس ، ولم يقطع صلته بهذه العلوم حين مال بأهل الحديث الذين كانوا لا يرونها من العلم النافع ، حكى عن مصعب الزبيرى قال : كان أبى والشافعى يتناشدان ، فأتى الشافعى على شعر هذيل حسنا وقال : لا تعلم بهذا أحدا من أهل الحديث فانهم لا يحتملون هذا ، معجم الأدباء ص ٣٨٠ ،

وكان الشافعي بطبعه نهما في العلم ، يلتمس كل ما يجده من فنونه ، وقد ذكر من ترجموا له : أنه اشتغل بالفراسة حين ذهب الى اليمن ، وعالج التنجيم والطب ، وربما كان درسهما في إحدى رحلاته الى العراق ، حيث كان التنجيم يعتبر فرعا من فروع العلوم الرياضية ، وكان الطب فرعا من العلم الطبيعي ، والعلم الرياضي ، والعلم الطبيعي قسمان من أقسام الفلسفة التي كان مسلمو العراق أخذوا يتنسمون ريحها ، وكان الشافعي مغرى بالرمي في شبابه ولم يكن في كهولته يأنف من الوقوف عند مهرة الرماة يدعو لهم ويمدهم بالمال ، ويظهر : أنه لم يكن شديدا في جرح الرجال كعادة أهل الحديث ، وقد نقل صاحب كتاب « طبقات الشافعية الكبرى » حكاية تدل على براءة الشافعي من تزمت المزكين .

« قال الشافعي — رضي الله عنه — حضرت بمصر رجلا مزكيا يجرح رجلا فسئل عن سببه وألح عليه فقال : رأيته يبول قائما ، قيل وماذا ذلك ؟ قال :

يرد الريح من رشاشه على بدنه وثيابه فيصلي فيه ، قيل هل رأيته أصابه الرشاش وصلى قبل أن يغسل ما أصابه ؟ قال : لا ولكن أراه سيفعل » ج — ١ — ص ١٩٤ ، ١٩٥

وكان في العلماء المعاصرين للشافعي : بل أهل الرأي منهم بله أهل الحديث من لا يراه ممتازا في الحديث « عن أبي عبد الله الصاغاني يحدث عن يحيى بن أكثم قال : كنا عند محمد بن الحسن في المناظرة : وكان الشافعي رجلا قرشي العقل والفهم ، صافي الذهن ، سريع الاصابة ، ولو كان أكثر سماع الحديث لاستغنت أمة محمد به عن غيره من العلماء » ابن حجر ص ٥٩ »

ولما ذهب الشافعي الى العراق استرعى نظره تحامل أهل الرأي على أستاذه مالك وعلى مذهبه ، وكان أهل الرأي أقوى سندا وأعظم جاها بما لهم من المكانة عند الخلفاء ، وبتوليهم شؤون القضاء ، ذلك إلى أنهم أوسع حيلة في الجدل من أهل الحديث وأنفذ بيانا ، ويمثل حال الفريقين من هذه الناحية ، ماروى عن أمامي أهل الرأي وأهل الحديث : أبي حنيفة ومالك .

روى ابن عبد البر المالكي عن الطبري قال : وكان مالك قد ضرب بالسياط ، واختلف فيمن ضربه وفي السبب الذي ضرب فيه قال : حدثني العباس بن الوليد قال : أخبرنا ذكوان عن مروان الطاطري أن أبا جعفر نهى مالكا عن الحديث : « ليس على مستكره طلاق » ثم دس اليه من يسأله عنه فحدث به على رؤوس الناس » الانتقاء ص ٤٣ ، ٤٤ »

أما أبو حنيفة فينقل في شأنه الموفق المكي في كتاب « المناقب » عن معمر بن الحسن الهروي يقول : اجتمع أبو حنيفة ومحمد ابن اسحاق عند أبي جعفر المنصور ، وكان جمع العلماء والفقهاء ، من أهل الكوفة والمدينة وسائر الأمصار لأمر حزبه ويبعث الى أبي حنيفة فنقله على البريد الى بغداد ، فلم يخرجه من ذلك الأمر الذي وقع له الا ابو حنيفة ، فلما قضيت الحاجة على يديه حبسه عند نفسه ليرفع القضاة والحكام الأمور اليه ، فيكون هو الذي ينفذ الامور ويفصل الاحكام ، وحبس محمد بن اسحاق ليجمع لابنه المهدي حروب النبي — ص — وغزواته قال فاجتمعا يوما عنده وكان محمد بن اسحاق يحسده لما كان يرى من المنصور من تفضيله وتقديمه واستشارته فيما ينوبه وينوب رعيته وقضاته وحكامه ، وسأل ابا حنيفة عن مسألة اراد بها ان يغير المنصور عليه ، فقال له ما تقول يا أبا حنيفة في رجل حلف ألا يفعل كذا وكذا أو أن يفعل كذا وكذا ولم يقل ان شاء الله موصولا باليمين ، وقال ذلك بعد ما فرغ من يمينه وسكت ، فقال أبو حنيفة لا ينفعه الاستثناء اذا كان مقطوعا من اليمين ، وانما كان ينفعه اذا كان موصولا به ، فقال له كيف لا ينفعه وقد قال جد أمير المؤمنين الاكبر أبو العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن استثناءه جائز ولو كان بعد سنة ، واحتج بقوله عز وجل « واذكر ربك إذا نسيت » ؟ — فقال المنصور لمحمد بن اسحاق : أهكذا قال أبو العباس صلوات الله عليه ؟ قال نعم ! فالتفت الى ابي حنيفة — رحمه الله — وقد علاه الغضب ، فقال تخالف أبا العباس فقال ابو حنيفة لم اخالف أبا العباس ، ولقول ابي العباس عندي تأويل يخرج على الصحة ولكن بلغني ان النبي — ص — قال « من حلف على يمين واستثنى فلا حنث عليه » . وإنما وضعناه اذا كان موصولا باليمين ، وهؤلاء لا يرون خلافك . لهذا يحتجون بخبر ابي العباس ، فقال له المنصور كيف ذلك ؟ قال : لانهم يقولون إنهم بايعوك حيث بايعوك تقية وان لهم الثنيا متى شاءوا يخرجون من بيعتك ولا يبقى في اعناقهم من ذلك شيء قال هكذا ، قال : نعم فقال المنصور : خذوا هذا يعني محمد بن اسحاق فأخذ وجعل رداؤه في عنقه وحبسوه » ج ١ ص ١٤٢ — ١٤٤ »

كان طبيعيا : أن يجادل الشافعي عن استاذه وعن مذهب استاذه وقد نهض الشافعي لذلك قويا بعقله ، قويا بعلمه ، قويا بفصاحته قويا بشباب في عنفوانه ، وحمية عربية ، وقد رويت لنا نماذج من دفاع الشافعي عن مالك ومذهبه : « عن محمد بن الحكم قال : سمعت الشافعي يقول : قال لي محمد بن الحسن : صاحبنا أعلم من صاحبكم يعني ، أبا حنيفة ومالكا ، وما كان على صاحبكم ان يتكلم وما كان لصاحبنا أن يسكت ، قال فغضبت وقلت نشدتك الله من كان أعلم بسنة رسول الله «صلعم» مالك أو أبو حنيفة ؟ قال : مالك ، لكن صاحبنا أقيس ، فقلت : نعم ومالك أعلم بكتاب الله تعالى وناسخه ومنسوخه وسنة رسول الله « صلعم » من أبي حنيفة فمن كان أعلم بكتاب الله وسنة رسوله كان أولى بالكلام » الانتقاء ص ٢٤

كان هذا الحجاج عن مذهب مالك في قدوم الشافعي الى العراق أول مرة ، وأقام الشافعي في العراق زمنا غير قصير ودرس فيه كتب محمد بن الحسن وغيره من أهل الرأي فيما درس في العراق ولازم محمد بن الحسن ورد على بعض أقواله وآرائه نصيراً لأهل الحديث .

ولا شك أن الشافعي في ذلك العهد كان متأثراً بمذهب أهل الحديث ومتأثرا بملازمة عالم دار الهجرة فهو كان يدافع عن مذهبه يدافع حميته لاستاذه وأنصار أستاذه المستضعفين

أما البزاز الكردري فهو يروي في سبب اختلاف الشافعي على محمد بن الحسن روايات يقول فيها : « عن عبد الرحمن الشافعي : لم يعرف الشافعي لمحمد حقه وأحسن اليه فلم يف له . وعن اسماعيل المزني قال الامام الشافعي : حبست بالعراق لدين فسمع محمد بن الحسن فخلصني فأنا له شاكر من بين الجميع . وعن ابن سماعة قال : أفلس الشافعي غير مرة فجاء الى محمد فحدث أصحابه فجمع له مائة الف فكان فيه قضاء حاجته ثم أفلس مرة أخرى فجمع له سبعين الف درهم ثم أتاه الثالثة ، فقال : لا أذهب مروءتي من بين أصحابي ، لو كان لك خير لكفاك ما جمعت لك ولعقبك وكان قبل هذا مولعاً بكتبه يناظر أوساط أصحابه ويعـــد نفسه منهم ، فلما أتى محمداً الثالثة أظهر الخلاف » المناقب — ج ٢ — ص ١٥٠ ، ١٥١

والشافعي نفسه يرد على ذلك ، فقد أخرج الحاكم من طريق محفوظ بن أبي توبة قال : سمعت الشافعي يقول : يقولون . أني إنما أخالفهم للدنيا ، وكيف يكون ذلك والدنيا معهم ؟ وانما يريد الانسان الدنيا لبطنه وفرجه ، وقد منعت ما ألذ من المطاعم ولا سيل الى النكاح ، يعني لما كان به من البواسير ولكن لست أخالف الا من خالف سنة رسول الله . ابن حجر ص ٧٦

ولما عاد الشافعي الى بغداد في سنة ١٩٥ هـ — ٨١٠ — ٨١١م ليقيم فيها سنتين اشتغل بالتدريس ، والتأليف وروى البغدادي في كتاب « تاريخ بغداد » :

« عن ابي الفضل الزجاج يقول : لما قدم الشافعي الى بغداد وكان في الجامع إمانيف واربعون حلقة ، أو خمسون حلقة فلما دخل بغداد مازال يقعد في حلقة حلقة ويقول لهم : قال الله وقال الرسول وهم يقولون قال أصحابنا حتى مابقي في المسجد حلقة غيره» ص ٦٨ ، ٦٩

واختلف الى دروس الشافعي جماعة من كبار أهل الرأي كأحمد بن حنبل وابي ثور فانتقلوا عن مذهب أهل الرى الى مذهبه ، ويروى عن احمد ابن حنبل : انه قال «ما احد من أصحاب الحديث حمل محبرة الا وللشافعي عليه منة » فقلنا : يا أبا محمد كيف ذلك ؟ وقال ان أصحاب الرأي كانوا يهزؤون بأصحاب الحديث حتى علمهم الشافعي وأقام الحجة عليهم » الانتقاء ص ٧٦

ووضع الشافعي في بغداد كتاب : « الحجة » « روى ابن حجر عن البويطي : ان الشافعي قال : اجتمع على أصحاب الحديث فسألوني أن أضع على كتاب ابي حنيفة فقلت : لا أعرف قولهم حتى انظر في كتبهم ، فكتبت الى كتب محمد بن الحسن فنظرت فيها سنة حتى حفظتها ثم وضعت الكتاب البغدادي يعني «الحجة » ص ٧٦

ويظهر من ذلك : ان مذهب الشافعي القديم الذي وضعه في بغداد كان في جل أمره ردا على مذهب أهل الرأي وكان قريبا الى مذهب اهل الحديث

وروى البغدادي عن حرملة : أنه سمع الشـــافعي يقول : « سميت ببغداد ناصر الحديث » ج ٢ ص ٦٨

ونقل ابن حجر عن البيهقي : ان كتاب الحجة الذي صنفه الشافعي ببغداد حمله عنه الزعفراني ، وله كتب أخرى حملها غير الزعفراني منها : كتاب السير ، رواية أبي عبد الرحمن أحمد بن يحيى الشافعي » وفي كتاب كشف الظنون :

(« الحجة » للامام الشافعي ، وهو مجلد ضخم ألفه بالعراق اذا اطلق القديم من مذهبه يراد به : هذا التصنيف ، قاله الاسنوي في المهمات ويطلق على ما افتى به هناك أيضا)

ثم انتهى الشافعي الى مصر فآزره تلاميذ مالك حتى اذا وضع مذهبه الجديد وأخذ يؤلف الكتب رداً على مالك تنكروا له وأصابته منهم محن

« قال الربيع : سمعت الشافعي يقول : قدمت مصر لا أعرف :

أن مالكا يخالف من أحاديثه إلا ستة عشر حديثا فنظرت فاذا هو يقول بالأصل ويدع الفرع ، ويقول بالفرع ويدع الأصل

ثم ذكر الشافعي فى رده على مالك : المسائل التى ترك الاخبار الصحيحة فيها بقول واحد من الصحابة أو بقول واحد من التابعين أو لرأى نفسه

ثم ذكر : ماترك فيه أقاويل الصحابة لرأى بعض التابعين أو لرأى نفسه وذلك : أنه ربما يدعى الاجماع وهو مختلف فيه

ثم بين الشافعي أن ادعاء : ان اجماع أهل المدينة حجة ، قول ضعيف . الرازى ص ٢٦

ويروى بعض الرواة : ان الشافعي انما وضع الكتب على مالك لأنه بلغه أن بالاندلس قلنسوة لمالك يستسق بها وكان يقال لهم : قال رسول الله «صلعم» فيقولون : قال مالك ، فقال الشافعي : إن مالكا بشر يخطىء فدعاه ذلك الى تصنيف الكتاب فى اختلافه معـــه وكان يقول استخرت الله تعالى فى ذلك . ابن حجر ص ٧٦

ومذهب الشافعي الجديد الذى وضعه فى مصر هو الذى يدل على شخصيته وينم عن عبقريته ويبرز استقلاله

« سئل احمد ما ترى فى كتب الشافعي التى عند العراقيين أهى أحب اليك ، أم التى بمصر ؟ قال : عليك بالكتب التى وضعها بمصر فانه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمها ثم رجع الى مصر فأحكم تلك كما يرويه الذهبى فى تاريخه الكبير » هامش الانتقاء ص ٧٧ »

(يتبع)

اقرأ مجانا

بدلا من أن تشترى الكتب الجديدة يمكنك أن تشترك فى المجلة الجديدة لصاحبها سلامه موسى ، سنة باربعين قرشا أو نصف سنة بعشرين قرشا . وبادارتهـــا مئات من الكتب الحديثة فى العربية والافرنجية ، فلتأت تستعير منها ما تحب قراءته من دار الادارة فى ١٢ شارع نوبار بجوار المالية وعين بذلك هذه الكتب

صفى الدين الحـــلى

— ٢ —

هذه هى الناحية اللفظية ، وأما خصائص معانيه فانها تتمثل فى شدة اتصالها بعلوم البيان من كثرة التشبيه واستعمال المجاز والكنايات ، وقد ساعده على الاجادة فى ذلك ماوهبه من قوة الخيال ودقة المشاهدة كما سنعرف ذلك حين التحدث عن وصفه . وتتمثل أيضا فى طغيان الاشارات والمصطلحات العلمية عليها إذ تراه يستغل معارفه فى علوم الفقه والحديث والفلسفة والتصوف فى استعارة معانيه لأى موضوع شاء ، وكثيرا مايضرب الأمثال بحوادث التاريخ أو يستشهد بالقصص العامة الشائعة كما ترى قاعدة التربية الحديثة فى إظهار المعقول بثوب المحسوس .

وتعد معانيه فوق ذلك من النوع المتلىء الدسم ، فهى تتدفق قوية فى طريقها الى الغاية من غير تفكك أو فضول أو تدنس بالمعانى العامية المبتذلة ، ويحس قارؤها بروح الصدق سارية بين أجزائها فى أغلب الاغراض لأن الشعر كان قطعة من نفس صفى الدين لاعلما يحرك به لسانه ، أما فى غير الغالب فقد كان يقحم نفسه فى اغراض متكلفة لاصلة بينه وبينها غير حب المحاكاة والصنعة كما أنه انحدر إلى أعماق الابتذال حين خاض فى المجون ..

وقد جال صفى الدين بهذه المعانى فى جميع الميادين التى عرفها الشعر العربى إلى وقته ، حائزا قصب السبق فى كثير منها فتناول الفخر والمدح والوصف والغزل ، وهى أركان شعره الكبرى ثم الحكمة والخمر والزهد والالغاز والمجون ، وهى العمد الثانوية ، ونحب قبل ان نستعرض هذه الميادين ان نسجل هنا شهادة أحد المعاصرين له وهو صاحب «الفوات» المتقدم ذكره إذ قال : تعجبك ألفاظه المصقولة ومعانيه المعسوله ومقاصده التى كأنها سهام راشقة وسيوف مسلولة » ! وما أثمنها شهادة من معاصر كان أجدر به الجحود والنكران

***

لم يكن صفى الدين شاعرا قوالا فحسب ، وإنما كان بطلا مغوارا يعرف كيف يكتب بالسيف على الرقاب كما يخط بالقلم على الطرس ، وذلك لانه نشأ من أسرة نبيلة قوية كانت هى ضاحية الولاية على « الحلة » وبعض بلاد العراق المحيطة بها ، وكان يجانبها أعداء